

مخطوطة جواب الخروبي للفقهاء أحمد بن أبي محلي

التعريف بها وبمضمونها

مجدوب موساوي

جامعة سعيدة،

medjdoub70@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 04/07/2021 ؛ تاريخ القبول: 01/10/2022

Manuscript “the Answer of al-kharoubi” of the jurist Ahmed ibn Abi mahalli –definition and content-

Abstract: The content of this article deals with a study of the manuscript of the jawab al-kharoubi manuscript of the jurist Ahmed ibn Abi Mahalli Sijjal-al-Massi, who died in Marrakech in 1021 AH-1612 AD. It is a medium-sized manuscript of one hundred and sixty-two pages located in the National Library in Rabat in Morocco under the number 611k. It is still unfulfilled, which included in its general totality a response and a long answer from its owner to the message of Muhammad Al-Kharoubi Al-Tarabulsi, in which he denied his Sufi sheikh Abi Amr bin Ahmed Al-Marakchi. Ahmed bin Abi Mahalli described it as an insignificant, rude, and heinous message.

Ahmed bin Abi Mahalli worked hard to provide evidence and proofs, especially from the Quran and the Sunnah in his response to Muhammad Al-Kharoubi and his group in order to persuade them to change what they denied in his Sheikh, as he used in his answer a lot of controversy, violence, sarcasm and softness according to the circumstances, to show this for important part Of his personality and temperament. The manuscript also included many chapters that dealt with many, varied and important

issues in the science of mysticism, facts and knowledge, the saying of scholars and the stories told from the righteous predecessors.

In this article, we will discuss the presentation of these ideas and information presented and processed by the jurist Ahmed bin Abi Mahali Al-Sijilmassi, by introducing this manuscript and its various contents and its owner, especially as it contributed to revealing to us various aspects of the relationships of scientists, what is between them and in order to generalize the benefit from it among researchers And interested and scholars on the one hand and enrich our national library with authentic sources.

Keywords:

Ahmed ibn abi mahali; al-kharoubi; Abu Omar al-marakashi; the mysticism; the answer; the call.

المخلص:

يتناول مضمون هذا المقال دراسة لمخطوطة «جواب الخروبي» للفتية أحمد بن أبي محلي السجلماسي المتوفى بمراكش سنة 1021هـ- 1612م؛ وهي مخطوطة متوسطة الحجم تقع في مئة واثنتون وستون صفحة موجودة بالمكتبة الوطنية بالرباط -بالمغرب الأقصى- تحت رقم 611 ك، كما توجد نسخة أخرى على شكل ميكروفيلم بنفس الخزنة بدون ترقيم أو رقم تسلسلي. هذه المخطوطة لا زالت غير مُحَقَّقة تضمنت في مجملها العام ردًا وإجابة مُطولة من صاحبها على رسالة محمد الخروبي الطرابلسي الذي أنكر فيها على شيخه الصوفي أبي عمرو بن أحمد

المراكشي. وقد وصفها أحمد بن أبي محلي بالرسالة السفيهة والوقحة والشنيعة.

اجتهد أحمد بن أبي محلي كثيرا في تقديم الدلائل والبراهين وبصفة خاصة من الكتاب والسنة في رده وجوابه على محمد الخروبي وجماعته قصد إقناعهم بأن يعدلوا عما أنكروه في شيخه؛ كما استعمل في جوابه هذا الكثير من الجدل والعنف والسخرية والليونة بحسب الظروف؛ ليظهر بذلك عن جزء مهم من شخصيته ومزاجه. كما ضمت المخطوطة أبوابا وفصولا كثيرة تناولت مسائل عديدة ومتنوعة ومهمة في علم التصوف والحقائق والمعارف وأقاويل أهل العلم والقصص الماثورة من السلف الصالح.

ستتطرق في مقالنا هذا إلى عرض هذه الأفكار والمعلومات التي طرحها وعالجها الفقيه أحمد بن أبي محلي السجلماسي؛ من خلال التعريف بهذه المخطوطة وبمضامينها المختلفة وبصاحبها؛ خصوصا وأنها ساهمت في الكشف لنا عن جوانب مختلفة من علاقات العلماء فما بينهم وقصد تعميم الفائدة والاستفادة منها بين الباحثين والمهتمين والدارسين من جهة وإثراء مكتبتنا الوطنية بالمصادر الأصلية من جهة ثانية.

الكلمات المفتاحية:

أحمد بن أبي محلي؛ الخروبي؛ أبو عمر المراكشي، التصوف؛ الجواب؛ الدعوة.

مقدمة:

تُعد المخطوطات ثراثاً خلفته لنا الأجيال السابقة؛ فهي ذاكرة الأمة باعتبار أنها تمثل جزءاً أصيلاً من كيانها ووجودها ورصيداً تراثياً وتاريخياً مُهماً، وذلك لما تُحويه من علوم ومعارف وفنون في شتى المجالات والتخصصات؛ فهي تمثل أهم مكونات التراث الثقافي للأمة الإسلامية التي تُحصى بعدد كبير منها لا حصر لها، إلا أنه من المؤسف حقاً أن كثيراً منها ضاع أو مُعرضاً للضياع، ويَجِد الباحثون والمهتمون والدارسون صعوبة ومشقة كبيرة في الوصول إليها مما يَتوجب الإسراع في إنقاذها بالعمل على تحقيقها وتخريجها ونشرها قصد الحفاظ على ما تُضمه من معلومات ومعارف والانتفاع بها.

من بين هذه المخطوطات اخترنا مخطوطة «جواب الخروبي» (أنظر التعليق رقم 1) للفقيه أحمد بن أبي محلي الذي عرفت كتاباته انتشاراً وشيوعاً واسعاً في كل البلاد شرقها وغربها نظراً للقضايا والإشكالات التي كان يُثيرها ويُدافع عنها. أردنا أن نُعرف بهذه المخطوطة وبمضامينها وبصاحبها؛ خصوصاً وأنها غير مُحَقَّقة وأنها ساهمت في الكشف عن جزء من علاقات العلماء فيما بينهم، فالمخطوطة في مجمل مضمونها العام عبارة عن رد من صاحبها على رسالة الخروبي الذي أنكر فيها على شيخه الصوفي أبي عمر المراكشي (أنظر التعليق رقم 2).

هذه المخطوطة اجتهدنا في دراستها من خلال مقالنا هذا رغبة منا في تقديم خدمة للمهتمين والباحثين والدارسين في هذا المجال وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

ما هو الغرض من تأليف أبو محلي لـ ﴿جواب الخروبي﴾؟ وما هي أهم الأفكار التي طرحها وعالجها فيها؟ وكيف ساهمت هذه المخطوطة في الكشف عن جوانب مهمة ومختلفة من شخصية ومزاج أبو محلي وعلاقات العلماء والفقهاء فما بينهم؟

1- التعريف بصاحب المخطوطة:

هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بابن أبي محلي؛ ولد بتافيلالت يوم الثلاثاء في العشر الأوسط من شوال 967هـ-1559م. ثائر متصوف، من العلماء. (أحمد بن أبي محلي، ب.س: 187؛ حجي محمد، 1978: 625؛ بن منصور عبد الوهاب، 1990: 286؛ خير الدين الزركلي، 1980: 161). تلقى تعليمه الأولي ببلدته تافيلالت على يد والده الذي اعتنى به منذ الصغر في حفظ القرآن وتلقين مبادئ العلم. (أحمد بن أبي محلي، ب.س: 96). وفي مرحلة ثانية من مساره العلمي انتقل إلى فاس في حدود سنة 980هـ-1572م، أقام بها مدة تزيد عن خمس سنوات (الإفراني محمد، 1888: 201) أخذ عن علمائها؛ وبعدها تنقل عبر مختلف المراكز العلمية الكبرى في المدن والقرى والمدامر بحثا عن العلم والعلماء قصد توسيع مداركه العلمية. كما أخذ بمبادئ التصوف خاصة عن شيخه ومريه أبا عبد الله

الشهير بمحمد بن مبارك الزعري (أنظر التعليق رقم 3)، والذي لازمه ثمانية عشرة سنة (بن منصور عبد الوهاب، 1990: 287-288). وبعد أن حج وتصوف وكثر أتباعه؛ استقر بمنطقة وادي السّاور، وكاتب رؤساء القبائل وعلماء البلدان يحضّهم على الاستمسك بالسنة (خير الدين الزركلي، 1980: 161) ويشيع أنّه المهدي الفاطمي (المنتظر) (أحمد بن أبي محلي، ب.س: 89)، وذكر في نسبه أنّه من ذرية العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه-.

استولى على سجلماسة بعد قتال فأظهر بها العدل وغير المناكر؛ وقدمت عليه وفود أهل تلمسان والراشدية يهنئونه بالنصر (الإفراني محمد، 1888: 200، 207)، كما زحف إلى مراكش بعد أن هزم جيش السلطان زيدان واستقر بها ملكا (اليوسي الحسن، 1982: 262)، إلا أنّه نسي ما بُني عليه أمره من التقوى والنسك؛ فهاجمه متصوف آخر من العلماء اسمه يحيى بن عبد الله الحاحي (أنظر التعليق رقم 4)، انتصارا للسلطان زيدان بن أحمد المنصور. فكانت المعركة على أبواب مراكش وأصيب ابن أبي محلي برصاصة قتلتة، وعلق رأسه مع رؤوس بعض أنصاره على سور مراكش نحو اثنتي عشرة سنة، وزعم أصحابه أنّه لم يمّت وإلّا تغيب (الإفراني محمد، 1888: 207-209).

ترك أحمد بن أبي محلي العديد من التأليف في النثر والشعر؛ منها جوابه هذا المعروف بـ: ﴿جواب الخروبي﴾، ﴿القسطاس المستقيم﴾،

﴿المهراس﴾، ﴿الإصليت﴾، ﴿المنجنيق﴾ وغيرها من مؤلفات أخرى
مهمة تجاوزت ما يفوق ألف ورقة.

2- أهمية مخطوطة ﴿جواب الخروبي﴾:

تكمّن الأهمية التاريخية والعلمية لمخطوطة ﴿جواب
الخروبي﴾ لأحمد بن أبي محلي في ترغيبها لقارئها في التصوف، كما
ساهمت في الكشف عن جزء من علاقات العلماء فما بينهم وطبيعة
البيئة التي كانوا يعيشون فيها، إذ مثلت جوابا صريحا من مُريد ظل وفيّا
لشيخه حتى بعد وفاته بسنين عديدة؛ عكست صدقه في محبته لشيخه
وحسن الظن به؛ بذكره لفضائله وكراماته وأقواله وأحواله ومقاماته
السنية. إلى جانب أنها ضمت في مجملها مسائل عديدة ومتنوعة في علم
التصوف والحقائق والمعارف مُعززة بشواهد من الكتاب والسنة وأقوال
أهل العلم والقصص الماثورة من السلف الصالح.

3- التعريف بالمخطوطة:

أ- العنوان:

أورد الفقيه أحمد بن أبي محلي عنوان مخطوطته كاملا وبعض
مؤلفاته في قصيدة شعرية؛ منها قوله فيها والذي أفادنا بعنوانها:
وَأَجْوِبَةُ الْخَرْوَبِيِّ عَنْوَانُ مَا مَعِي إِذَا صَحَّ أَنِّي عَاطِفٌ كُلَّ عَاسٍ

ب- عدد النسخ:

توجد مخطوطة ﴿أجوبة الخروبي﴾ في نسختين؛ الأولى موجودة بالمكتبة الوطنية بالرباط -المغرب الأقصى-، والثانية محفوظة بخزانة آل الجوزي بأولاد سعيد بتميمون بأدرار -الجزائر-.

ج- وصف المخطوطة:

1- النسخة الأولى:

مُجلدة بجلد بُني به أثر ترجمة؛ حالتها لا بأس بها لكنها مبتورة الأول وبعض أوراقها مخرومة، تقع المخطوطة في 162 ورقة وهي في التصوف، مقاسها 27 سم/ 19 سم، وعدد الأسطر في كل ورقة 21 سطرا، الخط مغربي مُعتاد بمداد أسود، لا يوجد أي ذكر لاسم ناسخها. المخطوطة لا توجد بها تعقيبات أو حواشي، كما لا توجد بها حليات ورسوم أو جداول. يُفترض أنّ صاحبها أتم تأليفها سنة 1014هـ-1605م بعد عودته من حجته الثانية والله أعلم. وهي موجودة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم 611ك، كما توجد نسخة أخرى على شكل ميكروفيلم بنفس الخزانة بدون ترقيم أو رقم تسلسلي، نوعيتها سالبة.

- بداية المخطوطة:

﴿جلوا عن مدارك كل أكمة من يفهم المزيّفون لكن الماء يدفع عن نفسه؛ بحمد الله على الله فليتوكل المؤمنون؛ قال أحمد بن عبد الله كان الله له أعلم...﴾ (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 1).

- نهاية المخطوطة:

وقعت في الورقة 162؛ وهي: ﴿... وقد عيل صبري الغرام
محرقى فواها عليّ والحبيب جفان﴾.

2- النسخة الثانية:

غير تامة وحالتها سيئة جداً؛ المخطوطة مبتورة بالكل ولم يبق من
أوراقها سوى 4 أوراق، متآكلة الأطراف بسبب أكل الأرضة وآثار
الرطوبة، عدد الأسطر مختلف، الخط مغربي حسن مشوب
بالألوان. المخطوطة محفوظة بخزانة آل الجوزي بأولاد سعيد بتميمون تحت
رقم 209. ناسخها هو الشيخ عبد الكريم بن محمد بن أبي محمد بن
أحمد بن ميمون بن عمر المريسي نسبة، التواتي نشأة (أنظر التعليق رقم 5)،
ضحوة يوم الأربعاء 21 ربيع الثاني 1016 هـ الموافق نحو 15 أوت
1607 م بإقليم توات جنوب غرب الجزائر.

- بداية المخطوطة:

﴿... الجليل الخروبي للمرابط أبو عمر المراكشي قلت: فدونك
جوابها بحول الله وقوته وفضله ومنتته...﴾.

- نهاية المخطوطة:

﴿... كتب الكتاب بعون الله ... على يد عبد الكريم بن محمد
... عرفنا الله خيرته وكفانا ضيره بمّنه وكرمه وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم﴾.

4- خصائص كتابة أحمد بن أبي محلي لمخطوطة جواب الخروبي:

تميّز ابن أبي محلي في كتابته لمخطوطته هذه بجملة خصائص؛
نوجزها فيما يلي:

- أنه قام بوضع أبواب وفصول لمخطوطته، كما حرص على
تفادي التكرار واللجوء دوماً إلى إحالة القارئ على أبواب المسألة -التي
تذكر عرضاً أو للتذكير-، كما كان يجعل لكل باب أو فصل خاتمة وهي
طريقة متقدمة مقارنة بعصره.

- أنه كان يلجأ باستمرار إلى طرح الأسئلة بغرض التوضيح
وإزالة الغموض أو الجهل عن القراء.

- أنه كان حريصاً في ذكر مصادر أفكاره في مخطوطته للأمانة
العلمية، وذلك بالإشارة إلى عناوين الكتب التي أخذ منها.

- أنه كان يتدخل في النصوص التي يوردها في مخطوطته هذه؛
بلجوهه باستمرار إلى التضمين والاقتباس من القرآن الكريم والحديث
الشريف، ويورد الأشعار والحكم الصوفية والقصص المأثورة.

- غلب على أسلوبه في مخطوطته هذه السجع، فكان لا يلجأ إلى
تبسيط كتاباته (القدوري عبد المجيد، 1991: 89-92).

- كثيراً ما نجد أحمد بن أبي محلي في مخطوطته هذه؛ يُقدم لنا فوائد
وتنبيهات للشرح والتعليق والتأكيد.

- الكثير من حديثه في مخطوطته هذه؛ هو إعادة لما أورده في كتبه
السابقة بصفة عامة وكتابه الوضاح لكل مُتمشّدق فضّاح بصفة خاصة،
حول علم التصوف والحقائق والمعارف.

- اجتهد أحمد بن أبي محلي في مخطوطته ﴿جواب الخروبي﴾؛ في تقديم الدلائل والبراهين من مختلف المصادر في جوابه للخروبي وجماعته قصد إقناعهم بأن يعدلوا عما أنكروه في شيخه. ويتكلم بلغة الواثق من نفسه والمتحدي لهم، كقوله له مثلاً: ﴿... بالله ما حَمَلَك على هذا الإغلاظ! فهلا رفقت بنفسك حتى تعلم ما تقول وما يقال لك؛ فلم تسارع للفحش في الكلام...﴾ (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 30). وقوله له أيضاً: ﴿... فإن أجبتنا يا خروبي عن هذه المسائل ولو برأيك أو نقلك أو كشفك؛ خلعنا ثوب الرعاية من أعناق أشيائنا وبأيعناك رغماً على الأنوف، ووجب علينا تعظيمك وإفراذك بالجلالة في سائر الأحوال والمقامات، وأضربنا عمن سواك كان من كان؛ ثم إن عجزت ذلك من كل وجه فكيف حل لك أن تتكلم برأيك أو ظنك فيما حرمته على غيرك!﴾ (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 90). كما نجده في مخطوطته هذه؛ كثيراً ما يتهم الخروبي بأنه نقل من أحد العارفين مُقلداً له فما ادّعاه (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 88، 100).

- اعتمد أحمد بن أبي محلي إلى جانب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على مصادر كثيرة؛ منها: كتاب روض الرياحين في حكاية الصالحين وروضة الأسرار على منابر الأخيار وكتاب ابن عطية وكتاب الدرة لابن الصباغ ... وغيرها من كتب أخرى؛ وغالباً ما كان يُحيل في مرات كثيرة القارئ أو المريد في مسائل إلى النظر في كتابه

﴿الوضح﴾ دون أن يُعلق عليها أو يشرحها مبررا هذا بتجنب الإطالة وضيق الوقت.

- كثيرا ما كان أحمد بن أبي محلي يستدل بكلام شيخه وقدوته أبو عبد الله محمد الزعري وشيخ شيخه أبي عمر المراكشي.

- عمد ابن أبي محلي في مخطوطته إلى كتابة العناوين الرئيسة والأفكار الأساسية بخط غليظ بارز قصد لفت انتباه القارئ.

- كثيرا ما يذكر ابن أبي محلي في نهاية تعليقه أو شرحه عبارة ﴿أن الله تعالى أعلم﴾ وفي مرات عبارة ﴿الله أعلم وأستغفر الله﴾.

5- دوافع كتابة ابن أبي محلي لمخطوطة ﴿جواب الخروبي﴾:

الدافع الأساسي من كتابة أحمد بن أبي محلي لمخطوطة ﴿جواب الخروبي﴾؛ هو الرد على الرسالة التي أنكر فيها الخروبي على شيخه في التصوف، شيخه في الطريقة الجزولية الحارارية الشاذلية أبي عمر المراكشي في مسائل كثيرة وفي دعاويه العريضة؛ وهو يريد من وراء جوابه هذا أن ينصر أخ مظلوم ويدافع عن بريء مرمي بالتهمة قذفا أو غرة، وهو لا يقصد مساوئ أحد من جوابه هذا كما يقول. كما يذكر أن الدافع من جوابه هذا هو خوفه من الفتنة التي قد تحدثها هذه الرسالة بقوله: ﴿لو تأدب -الخروبي- مع الجدود والآباء تأدبت معه الحفدة والأبناء، ولو أمكننا العفو والصّفح عن رسالته هذه ما تعرضنا لشيء من جفاءه، ولكن لما خفت الفتنة منها على كل آتٍ لا بصيرة لديه فيغره ما فيها... فيُسيء الظن ليحرم الجميل من فضل الله عند أصفائه، فلذلك علقت

عليها ومُحاذيا لها هذه الكراريس ليميز الخبيث من الطيب، وليلاً يجعلها الأغبال دليلاً يستندون إليها جهالة وعماية دون حق ولا حقيقة ﴿أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 18، 45﴾. كما بين أحمد بن أبي محلي الهدف من كتابته لهذا الجواب والذي يأمل من خلاله هداية الله لكل من كان مُقلدا للخروبي في القذف على غير حقيقة (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 78).

وللتذكير فإن أحمد بن أبي محلي كتب جوابه هذا بعد أن وجد نص رسالة الخروبي إلى شيخه أبي عمر المراكشي بتاريخ آخر جمادى الأولى أو غرة الثانية عام 1000هـ - 1592م ببلاد لكتاوة ببني مسنان بوادي درعة تافيلالت؛ وقتها كان كل من الشَّيْخَان المراكشي والخروبي متوفيان منذ سنوات عديدة. ويبدو أنَّ أحمد بن أبي محلي ندم على جوابه للخروبي؛ وهو ما أظهره من خلال قوله في كتابه الإصليت: ﴿... لكني إنما أجبته بلسان الوقت عن فيض الحال الغالب يومئذ على ما فيه من حروشة المقال؛ ولو كُنت مختاراً ما أغلظت عليه القول بل أتلف في حل ما امثل من سؤاله بأدب وانتصار للحق بلا شغب... وبالجمل فاستغفر الله من حُرُوشة المقال معه...﴾ (أحمد بن أبي محلي، ب.س: 258).

6- مضمون مخطوطة ﴿جواب الخروبي﴾:

تُعتبر مخطوطة ﴿جواب الخروبي﴾ دعوة من صاحبها أحمد بن أبي محلي للخروبي وجماعته لعلهم يفيقوا ويتوبوا إلى الله، مستدلاً لهم

بشواهد من الكتاب والسنة وأقاويل أهل العلم والقصص الماثورة من السلف. وهي في مجملها عبارة عن رد منه على رسالة الخروبي التي يصفها بالرسالة السفينة والوقية والشنعة... وصاحبها بأوصاف غير لا ثقة كقوله عنه مثلاً: ﴿...أحق مختل العقل أو جاهل مغمور أو طالب للرئاسة حريص على الحكم...﴾ (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 60)، كونه أنكر على شيخه الصوفي أبي عمر المراكشي ورجح تصديق الماضي في دعواه بالظن فقط على الحاضر بلا شاهد ولا دليل على قلة علمه في الحقيقة كما يقول ابن أبي محلي (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 88).

فالمخطوطة عبارة عن إجابة مَطُولَة من مؤلفها على رسالة الخروبي المتهمة بالوقوع في عرض شيخه غيرة منه حسب؛ فاجتهد ابن أبي محلي في تحليل الرسالة عُروَة عُروَة مُشْهَرَا بأخطاء صاحبها في المباحث الصوفية وبتحامله السافر على الشيخ أبي عمر المراكشي (حجي محمد، 1978: 171).

-ضمت المخطوطة أبواباً وفصولاً جاءت كما يلي:

أ-الباب الأول:

في مجملها عبارة عن توطئة المقدمة في الجواب على رسالة الخروبي؛ عتونه صاحبه بالدعوة إلى الله تعالى، وأشار أنه أورده وشرحه في كتابه (الوضّاح). أسهب أحمد بن أبي محلي في هذا الباب في شرح مفهوم الدعوة والدعاة وأحكامهما وفما يجب على السائل والمسئول

والمنتقد؛ وذلك بطرحه لجملة من الأسئلة أَلَمَت بكل جوانب الموضوع أجاب عنها مُستدلاً فيها بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والحكم والشعر وأقوال شيوخه وأسلافه. ومن جملة الأسئلة التي أجاب عنها في هذا الباب: ما إِمارة الدّاع؟ وما حقيقة الدعوة؟ وما بساطها وشروطها؟ ومن أي مقام يجب صدورها؟ ومن أي باب يورد عليها وكيفية الإذن والإجابة والعقد والشهادة؟ كما يعطينا في هذا الباب فائدة متعلقة بتبجيل المريدين الجاهلين لمشايخ الصوفية الماضين، معتمدين في ذلك على كراماتهم الموسومة في الكتب من محاسنهم دون مساوئهم البشرية واحتقارهم لأعيان وقتهم.

ب-الباب الثاني:

ضم فصولاً عن المسائل والالتهامات التي طرحها الخروبي في الشيخ أبي عمر المراكشي والذي نعتّه بالمغلوب عليه والمغلوب به والمتعدي طوره والذي لم يعرف قدره... كما نجد ابن أبي محلي يدافع عن شيخه في هذه الفصول واعتبر أقوال الخروبي هذه فيها غلط أو جهل، كما أنه لم يذخر جهداً في تبين أحكام هذه المسائل المطروحة واعتمد في رده على تقديم أدلة من الكتاب والسنة وتوجيه القارئ فيها إلى كتابه (الوضاح). كما ضم هذا الباب خاتمة لما سبق ذكره؛ وفصلاً آخر في الحديث عن فضائل وكرامات شيخه وأقواله وذكر لأحواله ومقاماته السنّية. كما أشار إلى بعض كرامات أصحابه كالسيد حمّامة والسيد الزروالي (أحمد بن أبي محلي ن 1، ب.س: 19-25).

ج-الباب الثالث:

ضم فيه أحمد بن أبي محلي كثير من الأحكام التي أصدرها الخروبي في شيخه المراكشي، والتي وقع بها في عرض الشيخ بمعايرته وقذفه، والتي اعتمد فيها على ماضيه دون أن يقدم أي دليل يؤكد أقواله؛ ومن هذه الأقوال على سبيل المثال لا الحصر منها: ﴿... هيهات متى متّ حتى أحييت ومتى غبت حتى أحضرت﴾ (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 37). وقوله أيضا: ﴿وقانا الله شر جرّته على صفوته﴾ (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 41). ﴿ويا عجباً لجهول﴾ (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 44)، ﴿وأنّ الله أضله عن طريقه وبأنّ إلهه هواه...﴾ (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 46)، ويرها من أقاويل أخرى كثيرة. كما يقول الخروبي عن مُستمعي الشيخ المراكشي وإشارته بأنهم عالة يتكفّفون وذلك لجهلهم بأحكام السُنّة المحمدية (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 67).

وفي هذا يذكر ابن أبي محلي بأنّ الخروبي أساء الأدب معه ومن تجاهل علينا تجاهلنا عليه، ولو تأدّب مع الجدود والآباء تأدّبت معه الحفدة والأبناء؟ ويقول عنه أيضا كما ناقشت ثناقش والبادئ أظلم ويصف رسالته بالمقالة الشنيعة (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 38-45). ويُرَدّ على أحكامه مُدافعا عن شيخه الذي يقول عنه، أنّه أحيا الله به الأرض وأنّ طريقته طريقة صافية ومشهودة في كتب الصوفية وهي الطريقة القسطلية؛ وفي هذا نجد يقول للخروبي: ﴿... لو أنّك تأملت

أحواله حق التأمل وفهمت ما فهمنا عنه أو بعضه ما ترامي فراشك على
سراج المعلق له بأنواره المرة بعد المرة حتى جعله يسمع ولا يرى،
فكيف بالله يا فقيه تأتي بمقام الخشية حجة على صاحب الفناء... ﴿أحمد
بن أبي محلي ن1، ب.س: 47﴾.

وفي هذا خصص ابن أبي محلي فصلا كاملا في مقام الجذب في
أقسامه وأسبابه ردا على الخروبي كَوْن شَيْخه كان مجذوبا وصاحب
أحوال، مُستشهدا بأقوال عبد القادر الجيلاني وأقوال شيخه أبي عمر
المراكشي الذي ينعت به إمام الحضرة المحمدية ويشيخ المغرب. ويذكر أنما
قاله الخروبي في شَيْخه هو تنزيه لنفسه وازدراء بغيره (أحمد بن أبي محلي
ن1، ب.س: 50-59) وأنه أحفظ المساوئ وتعمى عن المحاسن؛ ويقول
في هذا عنه: ﴿فإني تتبعت رسالتك فما وجدت فيها قط للشيخ ولو
منقبة واحدة؛ بل أضربت عنها ورميت بها وراء ظهرك فصرت تطلب له
النوادر والشوارد حتى لو أمكنك فيما ظهر لنا منك أن تشتري له عينا
من الشوق ثلطخه به لفعلت...﴾ (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 61).
كما يقول له أيضا: ﴿... ما أجهلك بحاله وما أغفلك عن مقاله
وقوله...﴾ (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 64).

د-الباب الرابع:

جاء بعنوان الوله والرجفان والتحير بالشم والذوق على رأي
الخروبي -سأحه الله-.

يواصل ابن أبي محلي في هذا الباب عرض اتهامات وأحكام الخروبي في شيخه؛ ومنها ذكره أنّ كل من اقتدى به فهو أحمق مثله لا يحي منه شيء (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 77)، كما عني صاحبه بالشتم والقذف ورميه بالسفّه في الحلم والحقة والإثم. ليواصل ابن أبي محلي في هذا الباب أيضا دفاعه عن شيخه؛ كقوله عن الخروبي: ﴿أنّ ما زعمه في شيخه ليس بشيء لعدم مطابقتها لما في نفس الأمر حيث أدركنا من أدرك صاحبك الذي تعنيه بالشتم...﴾ (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 79)؛ وخصص في هذا فصولا.

هـ- الباب الخامس:

جاء هذا الباب في بيان الخليفة الجامع بالبرهان؛ وخصص له فصولا جاءت كما يلي:

فصل في نعمة الله على الإنسان بتخصيصه بالعقل والعلم؛ إذ يرى بأنّ علم الأمة محصور في ثلاثة فنون هي الفقه والعلم والتصوف، الأول متعلق بالظواهر والثاني بالعقائد والثالث بالأسرار. كما يُشير في هذا الفصل إلى مقام الخلافة الذي يرى فيه أنّه هو الذي تدور عليه المقامات بأسرها، ومن حصل فيه فهو القطب والخليفة. كما أسهب الحديث عن التصوف بتعريفه وذكر شروطه كما تحدث عن مقام القطبانية وشروط الدخول في رحبتها. وحديثه في هذا الفصل لا يخرج عن إطاره السابق الذي سطره له وهو الرد عن رسالة الخروبي الذي أنكر على شيخه أبي عمر المراكشي في كثير من الكلام منه قوله

مثلا: ﴿... فَإِنْ ادَّعَيْتَ أَنَّكَ دَخَلْتَ رَحْبَةَ الْأَقْطَابِ وَهِيَ رَحْبَةُ الْأَمَانِ فَإِنْ لَهَا شُرُوطًا وَمَقْدَمَاتٌ...﴾ (أحمد بن أبي محلي ن 1، ب.س: 84)؛ وقوله أيضا: ﴿... قَدْ عَصِمَ شَرِيعَتَهُ بِحَقِيقَتِهِ وَسَتَرَ حَقِيقَتَهُ بِشَرِيعَتِهِ...﴾ (أحمد بن أبي محلي ن 1، ب.س: 85)؛ وقوله أيضا له: ﴿... صَفِّ لَنَا كَيْفَ هُوَ مَعْرَاجُ رُوحِ الْقُطْبِ وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَصْعَدُونَ بِهَا...﴾ إلى أن قال: ﴿... فَمَنْ عَجَزَ عَنْ هَذَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ الْكَلَامُ﴾ (أحمد بن أبي محلي ن 1، ب.س: 86).

وفي فصل آخر من هذا الباب تُحدث فيمن يدخل في الحقائق ما ليس منها ويلزم أربابها ما لا يلزم. وتحدث عن مناقب شيخه أبي عمر المراكشي ويذكر أنه كان صاحب كرامات عجيبة وكانت له حضرة مشهورة ومجلس بمراكش، كما أفادنا بذكر أصحابه الذين قال عنهم بأنهم لا يحصيهم لكثرتهم ووصفهم بأنهم أفراد وسادات الأصحاب وأعيان الأحاب، كما أفادنا بأخبار بعض المجاذيب وفقراء الشيخ.

و-الباب السادس:

جاء في رَحْبَةِ الْأَقْطَابِ وَبَيَانِ الْقُطْبِ؛ وقد خَصَّصَهُ أَيْضًا فِي الرَّدِّ عَلَى رِسَالَةِ الْخُرُوبِيِّ قَصْدَ إِقْنَاعِهِ بِغَلْطِهِ مُسْتَدَلًّا فِيهِ بِكَثِيرٍ مِنْ كَلَامِ أَكْبَارِ الصُّوفِيَةِ كَعَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ وَأَبُو الْحَسَنِ الشَّاذَلِيِّ، ضَمَّ فصولًا جَاءَتْ كَالْآتِي:

فصل جاء في مقام القلم الناقل عن الله دون واسطة؛ وشرح لكثير من مصطلحات الصوفية كالقطب والغوث والجرس وغيرها من

مصطلحات أخرى، كما خصصه كبقية الفصول السابقة في الرد على كلام الخروبي في شيخه. وكثيرا ما نجده يُردف الرد ﴿سأخني الله وإياه﴾ وفي مرات أخرى عبارة ﴿غفر الله لي وله﴾.

7- خاتمة المخطوطة:

تمثلت نهاية لأجوبته وهي خاتمة طويلة جعلها في ثلاثة أبواب تمثلت في:

أ- الباب الأول: في التماس العذر للخروبي فيما ارتكبه لكونه لم يعرف أبي عمر المراكشي عن قرب. تناول الحديث في معظمه عن تحذيره للمُناظرين والمستمعين في رسالة الخروبي وجوابها منه، وأنه لا يحل لإمرئ أن يقدم على أمرٍ حتى يعلم حكم الله فيه، وألا يُطيل الجاهل لسانه على العلماء العاملين، عكس العالم الذي يحق له أن يُؤدب قرينه وصاحبه، عالم مثله بما هو لائق بمحله من المعلوم (أحمد بن أبي محلي ن 1، ب.س: 105).

ب- الباب الثاني: في مسائل غلط فيها كثير من الفقهاء وفُتّاه فضلًا عن العامة. يرى ابن أبي محلي في هذا الباب بأن الخلاف بين البشر قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها باعتبار طبيعتهم المبنية على الغلط والنسيان والذهول إلا المعصومين والمُؤيدين من الله من الأنبياء والرسول عليهم السلام - فما كُلفوا بتبليغه.

وقد خصص لهذا الباب فصولا تناولت أهم مسائل الغلط جاءت

على النحو الآتي:

فصل في غلط العامون.

فصل في غلط خاصة الخاصة من الفقهاء.

فصل في غلط الفقهاء العاملين وبصفة خاصة في مسائل التصوف.

فصل في من أنكر التصوف.

فصل في غلط العامة بعد العامة بعد الخاصة (أحمد بن أبي محلي

ن1، ب.س: 117-119).

ج-الباب الثالث: في معنى التجريد والتفريد وما نيظ بذلك من

لطائف التوحيد عند الصوفية. جَعَلَهُ هو الآخر في فُصول؛ وكثيرا ما
نُجده يستدل على كلامه من الكتاب والسنة وحكم أكابر الصوفية
وبصفة خاصة الولي عبد القادر الجيلاني؛ ومن فصول هذا الباب نجد:

فصل في مفهوم التجريد ونتائجه.

فصل في مفهوم التفريد؛ وقد أسهب الحديث فيه عن القطب وعن

مقامه في الولاية، وخصائص الجماعة القادرية مُستدلا بحكم عبد القادر
الجيلاني والتي اجتهد في تقديم شروحات وتعليقات عليها، كما أورد لنا
الكثير من القصص المأثورة التي تُخدم هذا الموضوع. وأفادنا في هذا
الفصل بذكره لأحوال وسلوكيات عبد القادر الجيلاني.

فصل في الحضرة العلية وأصحابها؛ احتوى هذا الفصل على كثير

من حكم عبد القادر الجيلاني والتي تُخدم الموضوع وبصفة خاصة في
المقام العرفاني (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 121-138).

فصل في قطبانية أبي الحسن الشاذلي؛ خصصه بذكره لحكم الشاذلي وبصفة خاصة تلك المتعلقة بكرامات القطب (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 146-149).

فصل في معنى قول بداية النبي نهاية الولي.

فصل في معنى قول الشاذلي خمسة من الروحانيين (جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح -عليهم السلام-).

فصل في حقيقة الذات التي لا يعلمها إلا الله تعالى. يذكر ابن أبي محلي أنه أراد من خلال ما أورده في هذه الأبواب والفصول أن يتأكد ما قدمه في جوابه للخروبي (أحمد بن أبي محلي ن1، ب.س: 150).

خاتمة:

في ختام مقالنا هذا نجد أن هذه المخطوطة تناولت مسائل عديدة ومتنوعة في علم التصوف والحقائق والمعارف وأقوال أهل العلم والقصص الماثورة من السلف الصالح. كما أنها لم تختلف كثيرا عن غيرها مما كتبه أحمد بن أبي محلي من حيث أسلوبها الذي طغى عليه السجع والذي عكس تفوقه وتمكنه في ميدان اللغة والشعر، كما كشفت لنا المخطوطة أيضا عن جزء مهم من شخصيته التي تميزت بالغموض والتناقض والتقلب في المزاج لاستعماله فيها كثير من الجدل والعنف والسخرية والليونة بحسب الظروف، كما أظهرت لنا عن جوانب من علاقات العلماء فما بينهم.

والمخطوطة يرمتها مثلث جواباً من مُريد ظل وفيّاً لشيخه حتى بعد وفاته بسنين عديدة؛ إذ نجده لم يتأخر في الردّ عن شيخه بمجرد أن اطّلع على الرسالة مشتهراً بأخطاء صاحبها في مباحث الصوفية وبتحامله الصارخ على شيخه القسطلي. التعليقات:

1- الخروبي هو أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي؛ نزيل الجزائر ودفينها، عالم صوفي وفقه صالح، امتحن السفارة بين ملوك المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، توفي سنة 963هـ- 1556م. (الناصري أحمد، 1955: 25؛ حجي محمد، 1978: 170).

2- هو أبو عمرو بن أحمد بن أبي قاسم القسطلّي الأندلسي المراكشي؛ من شيوخ التصوف، اشتهر بزاويته التي عرفت قدوم المريدن إليها من كل جهات المغرب، توفي بمراكش في أواخر شهر رمضان سنة 974هـ- 1567م. (محمد المهدي الفاسي، 1994: 117؛ حجي محمد، 1978: 171).

3- دفين «تساوت»؛ من مشاهير الأولياء والأتقياء، كان عمدة أحمد بن أبي محلي في التصوف وعليه اعتماده، لهذا نجده يتحدث عنه بنوع من القدسية في جل كتبه بمناسبة أو بدونها، حتى قال عنه: ﴿كان فياض الحال باهر الخوارق...﴾، وبقي على ذلك الحال. توفي سنة

1006هـ-1597م. (الإفراني محمد، 2، 2004: 50؛ الناصري

أحمد، 1955: 192؛ واحيحي سعيد، 2009: 20).

4- يحيى بن عبد الله الحاحي زعيم زاوية زداغة الواقعة بتافيلالت
بالسوس شمال تارودانت بالأطلس الكبير، عالم
مصلح. (واحيحي سعيد، 2009: 64).

5- من علماء قصر تمنطيط؛ ولد سنة 994هـ-1586م، اعترف له
مشايخه بالفضل وأجازوه علميا وأذنوا له بالدرس والفتيا، ترك
العديد من المؤلفات في شتى الفنون. توفي سنة 1042هـ-
1633م. (التمنيطي، ب.س: 41).

الناصرية

الملاحق:



الورقة الأولى من مخطوطة ﴿جواب الخروبي﴾ - المكتبة الوطنية بالرباط



الورقة الأخيرة من مخطوطة ﴿جواب الخروبي﴾ المكتبة الوطنية بالرباط



الورقة الأولى من مخطوطة ﴿جواب الخروبي﴾ خزانة آل الجوزي

بتميمون



ن

الورقة الأخيرة من مخطوطة ﴿جواب الخروبي﴾ خزانة آل الجوزي بتميمون

المراجع:

- بن أبي محلي أحمد، (ب.س). أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- بن أبي محلي أحمد ن1، (ب.س). جواب الخروبي، مخطوطة رقم 611ك. الرباط: المكتبة الوطنية.
- الإفراني محمد، (1888). نزهة الهادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تصحيح السيد هوداس، مطبعة بردين النجي.
- الإفراني محمد2، (2004). صفوة من النشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، ط1. الدار البيضاء، المغرب: مركز التراث الثقافي المغربي.
- القدوري عبد المجيد، (1991). ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الأصلية الخريت، المغرب: منشورات عكاظ.
- الناصري أحمد، (1955). الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى -الدولة السعدية-، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر الناصري ومحمد الناصري، مج5. الدار البيضاء: دار الكتاب.
- اليوسي الحسن، (1982). المحاضرات في الأدب واللغة، تحقيق وشرح محمد حجي وأحمد الشوقوي، مج1، ط2. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- بن عبد الحق محمد التمنيطي، (ب.س). مخطوطة جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، أدرار: خزانة زاوية المهديّة.
- بن منصور عبد الوهاب، (1990). أعلام المغرب العربي. الرباط: المطبعة الملكية.

حجي محمد، (1978). الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، الدار البيضاء، المغرب: مطبوعات فضالة.

الزركلي خير الدين، (1980). الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين، ج1، ط5. بيروت: دار العلم للملايين.

المهدي محمد الفاسي، (1994). تمتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع، فتح عبد الحلي العمري وعبد الكريم مراد، ط1. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

واحيي سعيد، (2009). مهدوية ابن أبي محلي ومخطوطه «تقييد في التعريف بمدينة سجلماسة»، الرباط: المطبعة Rabet Net Maroc.

الناصرية